

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المسؤولية الاجتماعية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْإِنْسَانَ مَدَنِيًّا بِطَبْعِهِ، اجْتِمَاعِيًّا بِفِطْرَتِهِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ مِنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَمَرَنَا بِالْإِحْسَاسِ بِمَشَاعِرِ الْآخِرِينَ، وَحَثَّنَا عَلَى الْإِيثَارِ مُرَاعَاةً لِلْمُحْتَاجِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، عَاشَ لِمُجْتَمَعِهِ وَأُمَّتِهِ، وَصَرَفَ لِذَلِكَ عَظِيمَ هِمَّتِهِ ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَعَلَى مَنْ سَارَ عَلَى دَرَبِهِ وَطَرِيقَتِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -؛ فَإِنَّهَا الطَّرِيقُ إِلَى عَفْوِهِ وَرِضَاؤِهِ، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١)، وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ الْمُسْلِمَ الْحَقَّ هُوَ ذَلِكَ الَّذِي يُعَاشِشُ وَاقِعَهُ وَمُجْتَمَعَهُ، يُؤَثِّرُ إِنْجَابِيًّا فِي الْآخِرِينَ، وَيَتَأَثَّرُ صَالِحًا بِسُلُوكِ الصَّالِحِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾^(٢)، وَلِأَجْلِ غَرَسِ هَذِهِ الْمَبَادِئِ النَّبِيلَةَ جَاءَ الْخِطَابُ الْقُرْآنِيُّ بِصِيغَةِ الْجَمَاعَةِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٣)، وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾^(٤)، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥)، بَلْ تَكَادُ لَا تَجِدُ أَمْرًا وَاحِدًا جَاءَ بِصِيغَةِ الْإِفْرَادِ، وَفِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ يُخَاطَبُ الْمُسْلِمُ رَبَّهُ بِهَذِهِ الصِّيغَةِ فِي تَوْجِيهِهِ الْعِبَادَةَ، وَعِنْدَ الْإِسْتِعَانَةِ وَطَلَبِ الْهَدَايَةِ، يَتَكَرَّرُ ذَلِكَ مِنْهُ فِي جَمِيعِ رَكَعَاتِ صَلَاتِهِ، وَلَا يُعَدُّ فِي

(١) سورة الحشر / ١٨ .

(٢) سورة الكهف / ٢٨ .

(٣) سورة البقرة / ١٠٤ .

(٤) سورة البقرة / ٢١ .

(٥) سورة النور / ٣٠ .

ذَكَرَهُ وَدُعَائِهِ وَمُنَاجَاتِهِ، قَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (١)، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِتَأْصَلَ فِي نَفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا مَكَانَ لِلْفَرْدِيَّةِ، وَلَا مَوْقِعَ فِي قَامُوسِهِمْ لِلْأَنَانِيَّةِ، فَهُمْ لُحْمَةٌ وَاحِدَةٌ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، فَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ))، هَذَا يَصِفُ ﷺ أَتْبَاعَهُ الْمُؤْمِنِينَ، إِخْوَانًا مُتَرَاحِمِينَ، مُتَحَابِّينَ مُتَعَاطِفِينَ، يُحِبُّ كُلُّ مِنْهُمْ لِلْآخِرِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَسْعَى فِي ذَلِكَ، مَعَ مُرَاعَاةِ الْمَصَالِحِ الْكُلِّيَّةِ الْجَامِعَةِ لِمَصَالِحِهِمْ كُلِّهِمْ. أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ الْمُسْلِمَ يَنْطَلِقُ فِي تَصَرُّفَاتِهِ كُلِّهَا، وَيَتَحَرَّكُ فِي أُمُورِهِ جَمِيعِهَا، مِنْ مُنْطَلَقِ الْإِحْسَاسِ بِالمَسْئُولِيَّةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، فَهُوَ حَتَّى فِي تَصَرُّفَاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ يُرَاعِي مَشَاعِرَ غَيْرِهِ، يَحْفُهُمْ بِنَفْعِهِ وَخَيْرِهِ، وَيَمْنَعُ عَنْهُمْ أَذَاهُ وَضُرَّهُ، يَقُولُ ﷺ: ((الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ))، فَهُوَ يُدْرِكُ أَنَّ حُرِّيَّتَهُ تَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ حُرِّيَّاتِ الْآخَرِينَ، فَلَا يُزْعِجُ الْأَمِينِينَ، وَلَا يَعْتَدِي عَلَى حُقُوقِ الْمُسَالِمِينَ، وَالْمُنْتَمِلُ لِلْأَمْرِ الدِّينِيَّةِ، يَجِدُّهَا تُولِي مَشَاعِرَ الْآخَرِينَ بَالِغَ الْأَهْمِيَّةِ، فَقَدْ جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي وَصِيَّتِهِ بِالْجَارِ قَوْلُهُ: ((أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ؟ إِنْ اسْتَعَانَكَ أَعْنَتَهُ، وَإِنْ اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ، وَإِنْ مَرِضَ عُدْتَهُ، وَلَا تَسْتَطِلْ عَلَيْهِ بِالْبِنَاءِ فَتَحْجِبَ الرِّيحَ عَنْهُ إِلَّا بِأَذْنِهِ، وَإِنْ اشْتَرَيْتَ فَآكِهَةً فَأَهْدِ لَهُ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأَدْخِلْهَا سِرًّا، وَلَا يَخْرُجْ بِهَا وَلَدُكَ لِيَغِيظَ بِهَا وَلَدَهُ، وَلَا تُؤْذِهِ بِقِتَارٍ قَدْرِكَ إِلَّا أَنْ تَعْرِفَ لَهُ مِنْهَا))، قَالَ الرَّاوي: "فَمَا زَالَ يُوصِيهِمْ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ سَيُورِثُهُ". إِنَّ قَضَايَا الطَّعَامِ وَالْبِنَاءِ قَدْ تَبَدُّوا فِي الْوَهْلَةِ الْأُولَى مِنْ أَخْصِ خُصُوصِيَّاتِ الْفَرْدِ، تَتَّسِعُ فِيهَا حُرِّيَّتُهُ الشَّخْصِيَّةُ، يَأْكُلُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَيَلْبَسُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَيَبْنِي كَيْفَ يَشَاءُ، وَلَكِنَّ الْإِسْلَامَ يَضَعُ لِحُرِّيَّةِ الْأَشْخَاصِ فِي هَذِهِ الْخُصُوصِيَّاتِ حُدُودًا يَنْتَهِي مَدَاهَا عِنْدَ حُدُودِ مَشَاعِرِ الْآخَرِينَ، فَحُرِّيَّةُ الشَّخْصِ فِي الْبِنَاءِ تَنْتَهِي عِنْدَمَا تَضُرُّ بِجِيرَانِهِ، وَحُرِّيَّتُهُ فِي اللَّبَاسِ تَنْتَهِي يَوْمَ تَخْدُسُ

مَشَاعِرَ أَقْرَانِهِ، وَحُرِّيَّتُهُ فِي الطَّعَامِ تَنْتَهِي حِينَ تُؤْذِي أَحَاسِيْسَ إِخْوَانِهِ، هَكَذَا هِيَ عَدَالَةٌ
 الْإِسْلَامِ، عَدَالَةٌ تَضْمَنُ لِلْجَمَاعَةِ أَعْلَى دَرَجَاتِ النِّقْدِيرِ وَالْإِحْتِرَامِ، لَا مَجَالَ فِيهَا لِلْعَبَثِ
 وَاللَّعِبِ، وَلَا مَوْقِعَ فِيهَا لِلْأَذَى وَالضَّجِيجِ وَالصَّخْبِ، فَحَتَّى الصَّوْتُ لَهُ حُدُودٌ وَأَدَابٌ، قَالَ
 تَعَالَى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَسْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾^(١)، بَلْ إِنْ نَظَرَ
 الْعَيْنَيْنِ لَهُ حُدُودٌ وَقَوَانِينٌ، تَقِفُ فِيهَا حُرِّيَّةُ الشَّخْصِ عِنْدَ حُرْمَاتِ الْآخِرِينَ، قَالَ تَعَالَى:
 ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(٢)،
 هَذَا هُوَ مَنْهَجُ الْإِسْلَامِ فِي الْحُرِّيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ، حُقُوقٌ وَوَأَجِبَاتٌ، وَحُرِّيَّةٌ مَضْبُوتَةٌ بِقَوَاعِدِ
 وَالتَّرَامَاتِ، بَعِيدًا عَنِ التَّرَمُّتِ وَالْهَمْجِيَّةِ، وَبِمَنَآئِ عَنِ الْإِعْتِدَاءِ وَالْعَبَثِيَّةِ، قَالَ تَعَالَى:
 ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ﴾^(٣).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ الْأُسْرَةَ هِيَ اللَّبَنَةُ الْأُولَى فِي بِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ، إِلَيْهَا يَنْتَمِي أَفْرَادُهُ، وَفِي صَلَاحِهَا خَيْرُهُ
 وَإِسْعَادُهُ. وَتَحْقِيقُ الْأَمْنِ الْأُسْرِيِّ، وَتَوْفِيرُ الْإِسْتِقْرَارِ فِي الْمُحِيطِ الْبَيْتِيِّ، مِنْ أَهَمِّ مَقَاصِدِ
 التَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا
 وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾^(٤)، وَهَذَا لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِتَحَلِّي
 أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ بِالمَسْئُولِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالمُسْلِمِ مُطَالِبٌ بِمُرَاعَاةِ أُسْرَتِهِ فِي تَصَرُّفَاتِهِ،
 وَاعْتِبَارِ حَاجِيَّاتِهَا فِي نَفَقَاتِهِ، فَهِيَ أَوْلَى مَنْ يَجِبُ إِسْدَاءُ المَعْرُوفِ إِلَيْهِ، وَأَجْدَرُ مَنْ يَخْصُهَا
 بِمَا لَدَيْهِ، جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: ((إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِضَيْفِكَ عَلَيْكَ
 حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ))، فَالمُسْلِمُ يَبْدَأُ بِنَفْعِ أُسْرَتِهِ سَوَاءً فِي ذَلِكَ
 المَنَافِعُ المَعْنَوِيَّةُ أَوْ المَادِّيَّةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٥)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ:

(١) سورة لقمان / ١٩ .

(٢) سورة النور / ٣٠ .

(٣) سورة المؤمنون / ١١٥ .

(٤) سورة الروم / ٢١ .

(٥) سورة الشعراء / ٢١٤ .

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾^(١)، وَلَا يُنْفِقُ الْمُسْلِمُ عَلَى غَيْرِ أُسْرَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَسُدَّ حَاجَاتِهَا، وَيُوقِّرَ لَهَا بِالْمَعْرُوفِ ضَرُورِيَّاتِهَا، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عِنْدِي دِينَارٌ، قَالَ: ((أَنْفَقْهُ عَلَى نَفْسِكَ)) قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، قَالَ: ((أَنْفَقْهُ عَلَى وَلَدِكَ))، قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، قَالَ: ((أَنْفَقْهُ عَلَى أَهْلِكَ)) قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، قَالَ: ((أَنْفَقْهُ عَلَى خَادِمِكَ))، قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، قَالَ: ((أَنْتَ أَعْلَمُ))، هَذَا وَإِنَّ مِمَّا يَحْزُنُ فِي النَّفْسِ أَنْ تَرَى مُبَدَّرًا فِي نَفَقَاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ، وَمُسْرِفًا فِي عِلَاقَاتِهِ الْخَارِجِيَّةِ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ مُقْصِرًا وَمُقْتَرًا فِي وَاجِبَاتِهِ الْأُسْرِيَّةِ، أَوْلَادُهُ فِي سَيِّئِ حَالٍ، وَعَائِلُهُمْ يَصْرِفُ مَالَهُ فِي مِلَذَّاتِهِ، وَيَقْضِي وَقْتَهُ مُهْمَلًا لِبَنِيهِ وَزَوْجَتِهِ وَبَنَاتِهِ، إِنَّ هَذَا سُلوُكٌ يَمَقُّتُهُ الْإِسْلَامُ، وَيَعُدُّهُ مِنَ الْكِبَائِرِ وَالْآثَامِ، جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))، وَعَنْ سَعْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَنِي النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَالْشُّطْرُ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَالْتَلْثُ؟ قَالَ: ((الْتَلْثُ، وَالْتَلْثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ)).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِذَا فَرَغَ الْمَرْءُ مِنَ التَّزَامَاتِ الْأُسْرِيَّةِ، بِتَوْفِيرِ حَاجِيَّاتِهَا الضَّرُورِيَّةِ؛ فَهَذَا وَجِبَ عَلَيْهِ الْإِلْتِفَاتُ إِلَى مُجْتَمَعِهِ لِيُسْنِمَهُ فِي مَشَارِعِهِ الْخَيْرِيَّةِ، الَّتِي يَعُودُ نَفْعُهَا عَلَى الْجَمِيعِ، فَيُشَارِكُ فِيهَا بِقَدْرِ مَا يَسْتَطِيعُ، إِنَّ الْمَنَافِعَ الْعَامَّةَ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ، يَضْطَلَعُ بِهَا أَصْحَابُ الْهَمَمِ الْعَالِيَاتِ، الشَّاكِرُونَ لِفَضْلِ أُمَّتِهِمْ، الذَّاكِرُونَ لِإِحْسَانِ مَنْ حَوْلَهُمْ، وَلَهَا فِي الْإِسْلَامِ مَنْزِلَةٌ عَالِيَةٌ، وَمَكَانَةٌ رَاقِيَةٌ سَامِيَةٌ، قَدْ مُيزَتْ بِاسْتِمْرَارِ الْأَجْرِ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ، لَا يَنْقَطِعُ عَنْ مُخْلِصِهَا تَدْفُقُ الْحَسَنَاتِ، يَجْرِي أَجْرُهَا عَلَيْهِ وَهُوَ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى، وَتُورِثُهُ شُكْرُ اللَّهِ وَحَمْدُ الْوَرَى، لِذَا حَثَّ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ الْمُسْلِمِينَ، وَرَغَّبَ فِيهَا الْمُتَنَفِّينَ وَالْعَامِلِينَ، فَعَنْ

أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ أَجْرَى نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بِنْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ))، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَصَابَ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، فَآتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، لَمْ أَصِبْ مَالًا قَطُّ أَنَفْسَ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُ بِهِ؟ قَالَ ﷺ: ((إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا))، قَالَ جَابِرٌ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: ((مَا أَعْلَمُ أَحَدًا كَانَ لَهُ مَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ إِلَّا حَبَسَ مَالًا مِنْ مَالِهِ صَدَقَةً مُؤَبَّدَةً، لَا تُشْتَرَى أَبَدًا وَلَا تُوهَبُ وَلَا تُورَثُ))، وَعَنْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذَا الْمَجَالِ حَدِيثٌ وَلَا حَرَجَ، فَقَدْ وَقَفَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - دَارَهَا صَدَقَةً حَبَسَ لَا تُوهَبُ وَلَا تُورَثُ، وَتَصَدَّقَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ بِأَرْضِهَا حَبَسًا لَا تُبَاعُ وَلَا تُوهَبُ وَلَا تُورَثُ، وَابْتَاعَتْ حَفْصَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - حُلِيًّا بِعِشْرِينَ أَلْفًا فَحَبَسَتْهُ عَلَى نِسَاءِ آلِ الْخَطَّابِ، فَيَا مَنْ تَبَحُّثُونَ عَنْ أَفْضَلِ وَسِيلَةٍ لِتَثْمِيرِ الْأَمْوَالِ: هَذَا خَيْرُ سُبُلِهَا، أَرْبَاحُهَا فِي الدُّنْيَا سَكِينَةٌ فِي النَّفْسِ، وَطُمَأْنِينَةٌ فِي الْقَلْبِ، وَبَرَكَاتٌ فِي الْعُمْرِ وَالرِّزْقِ وَالْبَدَنِ، وَالزَّوْجَةِ وَالْوَالِدِ، وَرَحْمَةٌ وَمَحَبَّةٌ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَمَنَافِعُهُ فِي الْآخِرَةِ ثَوَابٌ مَوْصُولٌ لَا يَنْقَطِعُ، وَإِنَّا نُهَيْبُ بِالتُّجَّارِ وَأَصْحَابِ الْأَمْوَالِ، أَنْ يُسْهِمُوا فِي مُؤَسَّسَاتٍ وَقَفِيَّةٍ تَرَعَى الضُّعْفَاءَ وَالْمُحْتَاجِينَ وَالْعَجْزَةَ وَغَيْرَهُمْ، إِنَّ سُرُورًا تُدْخِلُونَهُ عَلَى قَلْبِ إِنْسَانٍ، وَفَرَحَةٌ تَمْسُحُونَ بِهَا كَرْبَ مَكْرُوبٍ، أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ تَهْجُدٍ وَعُمْرَةٍ وَصِيَامٍ، وَلَهَا لَذَّةٌ وَفَرَحَةٌ أَعْظَمُ مِنْ لَذَّةِ الْكَنْزِ وَالْإِدْخَارِ، لِأَمْوَالٍ مَصِيرُهَا إِلَى الْوَرِثَةِ ثُمَّ إِلَى التُّرَابِ، هَذَا وَإِنَّ الْإِسْهَامَ فِي هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةِ الْكَبِيرَةِ، لَهُ صُورٌ مُتَعَدِّدَةٌ كَثِيرَةٌ، فَلَيْسَ الْمَالُ فِيهَا كُلِّ شَيْءٍ، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ الْمَالُ أَسْهَمَ بِمَالِهِ، وَمَنْ عَدِمَ الْمَالُ فَلَنْ يَعْدَمَ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ، الَّتِي يَحْتُ بِهَا عَلَى الْخَيْرَاتِ وَبَدَلَ النِّفَقَاتِ، فَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ)).

فَانْتَقُوا اللهُ - عِبَادَ اللهِ -، وَتَحَمَّلُوا مَسْئُولِيَّاتِكُمْ الْاجْتِمَاعِيَّةَ، عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ

وَأَعْلَاهَا، وَأَرْوَعَ الصُّورِ وَأَسْمَاهَا؛ يَطِبُّ لَكُمْ جَنَاهَا، وَتَحْمَدُوا فِي الْآخِرَةِ عُقْبَاهَا.
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ
يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** **

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِي الصَّالِحِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ
إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَفْضَلُ خَلْقِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ الْمَسْئُولِيَّةَ الْجَامِعِيَّةَ تَجَاهَ الْمَشَارِيعِ الْخَيْرِيَّةِ، وَالْأَمَانَةَ حِيَالَ الْمُنْجَزَاتِ وَالْمُقَدَّرَاتِ
الْوَطَنِيَّةِ، لَا تَقْتَصِرُ عَلَى التَّاسِيسِ وَالْإِيجَادِ، بَلْ تَشْمَلُ الْمُحَافَظَةَ عَلَى الْمَوْجُودِ مِنَ النَّفَادِ،
وَحِمَايَتِهِ مِنْ أَيْدِي الْعَبَثِ وَالْفَسَادِ، وَلِتَحْقِيقِ ذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَتَحَلَّى الْمُسْتَفِيدُونَ مِنَ الْخِدْمَاتِ،
بِأَعْلَى دَرَجَاتِ الْمَسْئُولِيَّةِ وَالِاتِّزَامِ، وَالِاقتِصَادِ فِي اسْتِعْمَالِ كُلِّ مَرْفِقٍ عَامٍّ، فَالْمَرْافِقُ
وَالْمَصَادِرُ الْخِدْمِيَّةُ، ثَرْوَةٌ وَذَخِيرَةٌ وَطَنِيَّةٌ، الْحَقُّ فِيهَا أَصِيلٌ لِلْأَجْيَالِ فِي تَعَاقُبِهَا،
وَاسْتِعْمَالُهَا مُتَاحٌ لِفَنَاتِ الْمُجْتَمَعِ عَلَى تَنَوُّعِهَا، لِذَا نَهَى عَنِ الْاسْتِنْتِارِ بِهَا، وَجَاءَ الْأَمْرُ
بِتَرْشِيدِ اسْتِهْلَاكِهَا، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ هَذِهِ الْخِدْمَاتِ، وَأَجَلُّ هَذِهِ الْمُنْجَزَاتِ، خِدْمَاتُ الْمَاءِ
وَالْكَهْرَبَاءِ، فَالْمَاءُ مِنْ أَجْلِ النِّعَمِ لِأَنَّهُ شَرِيانُ الْحَيَاةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ

حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١)، وَلَقَدْ جَاءَ النَّهْيُ عَنِ الْإِسْرَافِ فِي الْمَاءِ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنُصُوصِ
سُنَّةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا
تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٢)، فَإِذَا كَانَ النَّهْيُ عَنِ الْإِسْرَافِ فِي اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ لِلشَّرَابِ،

(١) سورة الأنبياء / ٣٠ .

(٢) سورة الأعراف / ٣١ .

فَكَيْفَ بغيرِهِ مِنَ الاستعمالات؟ وكذلك الكهْرَبَاءُ فِيهِ فِي مُقَدِّمَةِ الخِدْمَاتِ، بِهَا تَعْمَلُ المَصَانِعُ وَالمُسْتَشْفَيَاتُ وَسَائِرُ المُؤَسَّسَاتِ، وَتَنَارُ البُيُوتِ وَالمَطْرَقَاتُ، بَلْ لَا يَكَادُ مَرْفِقٌ مِنْ مَرَاقِقِ الحَيَاةِ إِلَّا تَدْخُلُ الكَهْرَبَاءُ فِي تَشْغِيلِهِ وَتَسْبِيرِهِ، وَعَامِلٌ مُهْمٌ فِي إِنْجَاذِهِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَتَسْبِيرِهِ، فَمِنَ الظُّلْمِ عَلَى الأَفْرَادِ وَالجَمَاعَةِ، الإِسْرَافُ فِي هَذَيْنِ المُنْجِزَيْنِ وَالإِضَاعَةُ، وَلَا يَسْتَهِنُ الإِنْسَانُ بِاسْتِعْمَالِ قَدْ يَرَاهُ قَلِيلًا، فَالْقَلِيلُ إِلَى القَلِيلِ يَصِيرُ كَبِيرًا وَجَلِيلًا، وَإِنَّ مِنْ تَعَالِيمِ دِينِنَا الحَنِيفِ، وَتَوْجِيهَاتِ شَرْعِنَا الشَّرِيفِ، الإِقْتِصَادُ فِي الاستِعْمَالِ وَعَدَمُ الإِهْمَالِ، فَالنعْمُ وَإِنْ كَانَتْ مُسْخَرَةً لِلإِنْسَانِ، إِلَّا أَنَّهُ مَأْمُورٌ فِي اسْتِعْمَالِهَا بِالتَّوَسُّطِ وَالإِحْسَانِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَصُونُوا مُنْجِزَاتِكُمْ، وَاقْتَصِدُوا فِي اسْتِعْمَالِ خَيْرَاتِكُمْ؛ تَهْنُؤُوا فِي حَيَاتِكُمْ وَمَعَادِكُمْ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ المُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الغُرِّ المُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي العَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَن خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَن أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ، وَعَن سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَن المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَقَرُّفَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَقَرُّفًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتَّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًّا مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيبًا، وَعَمَلًا صَالِحًا زَكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لَا تَرْغُ قُلُوبُنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يُعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.